مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

من مواد المعجم التاريخي: الجمع في طائفة من الكلم القديم

بحث : د. ابراهيم السامرائي

كثر الحديث عن «المعجم التاريخي» وربما وصل العرب هذا المصطلح الجديد مما عرف في الدراسات المعجمية الحديثة، ان هذه الدراسات مهما اكتسبت من «التغريب» لا يمكن ان تستغني عن الاصول اللغوية، ذلك ان الجديد اللغوي لابد ان يحتفظ بشيء من علاقة عضوية بالاصول القديمة.

ولنا ان نسأل أنفسنا : ألنا من تراثنا «معجم تاريخي؟» وهل لنا ان نعد مثلا «لسان العرب» ضربا من هذا المعجم؟

والجواب عن السؤالين هو اننا لا نملك هذا المعجم، وليس «لسان العرب» ولا غيره من المطولات هو هذا الذي نتساءل عنه.

ان «المعجم التاريخي» يجب ان يكون قائما على العناية بالاصول، ثم الفروع عن هذه الاصول، وهذا يعني انه يسرد المسيرة التاريخية منذ نشأتها بل ولادتها الى نهايتها، ولا اريد بـ«النهاية» الموت والفناء وان يكن هذا من الامور الحاصلة في جمهرة من الالفاظ التي عفا عليها الزمن، او قل قد انتفت الحاجة اليها.

ان لكل كلمة من الكلمات في العربية، كما هي الحال في كل لغة

«سيرة» وهذه السيرة تخضع لظروف عدة، وتكون حاجة من حاجات المعربين.

ومن هنا كانت الكلمة محكومة بحاجات ما تني تزداد يوما بعد يوم على ان هذا الجديد من الحاجات لا يخلق من اللفظ شيئا من عدم، بل ان المعربين يكونون مسوقين الى البحث عما لديهم من اللفظ فيعملون فيه النظر حتى يكون لهم الجديد في الابنية التي عرفوها في العربية.

ولنا ان نقول ان المعجم التاريخي في ضبطه لافراد هذه اللغة لا يكـون محكـوما بل ساعيا الى البحث عن الصواب والخطأ، ذلك ان «الصوابية» في كثير من الالفاظ لا تخضع للاعتبار، ان النظر الى التطور «الصحيح» يبعدنا عن الخوض في الخطأ.

اننا حين نبحث في سيرة اللفظة فنراها تكتسي لبوسا خاصا في كل عصر اتسـاعا ومجازا وتشبيها، ونحن نقبل هذا اللبوس، بل قل اننا محكوم علينا ان نقبله، نكون في ذلك غير محصورين في دائرة الضيق ونتجاوز بذلك الحدود الى ابعد من عصر الاحتجاج.

مازالت العربية القديمة موضع درس، وان الكثير من نوادرها يسترعي النظر، وقد بدأ لي ان طائفة من الكلم المجموع تقتضينا ان نعود اليها غير مكتفين بالذي شاع من ابنيتها.

ان مصـادر العـربية القـديمة ولا سيما مطولات المعجمات قد توقفت في طائفة فسردت فيها اقوالا لا تخلو من التضارب، وان الدارس ليقف فيها على حشد من الآراء والتأويلات، وكان لي ان وقفت وقفة طويلة على طائفة من هذه المواد أبدؤها بمسيرة تاريخية لاشير في خاتمة المطاف الى ما آلت اليه، وسأرتب هذه بحسب اوائلها دون النظر الى اصولها الاشتقاقية، ودونك ـ صاحبي الدارس المعني ـ هذه المواد:

1 ـ سِجال :

ان هذه الكلمـة قديمـة، ولكنهـا بقيت في العربية المعاصرة، والمعربون في ايامنا درجوا على استعمالها مصدرا كأن أقرأ في «صحيفة

الشرق الاوسط»[1] في منـــاظـــرة في الثقـــافـة والادب، لماذا اختفى «السجال» من حياتنا الثقافية؟

والـذي يخلص من هذا ان السجال بمعنى الجدال والمناظرة، وهذا هو الجاري لدى الكتاب في مقالاتهم وابحاثهم، ومن هذا ما يقول آخر: اشتدّ «السجال» بين الاطراف كافة، وهذا شيء فاش كثير.

أقول : و«السجال» بهذا الاستعمال وهذه الدلالة شيء جديد مستوحًى من معنى السجال في الاصل.

«السجال» : جمع سَجْل بمعنى الدلو الممتلئة ماءً، ولا يكون سجل الا وهو ممتلىء ماءً قال لبيد :

يُحيلُون السجال على السجال[2].

وفي حديث أبي سفيان : ان هِرَقْل سأله عن الحرب بينه وبين النبي ـ صلّى الله عليه وسلم ـ فقال له: الحرب « سجّال » معناه: إنّا نُدَال عليه، ويُدَال علينا اخرى[3].

أقول : وقوله : «الحرب سجال» على التشبيه، اي هي كالسجال يتناوب فيها المستقيان من البئر، وهي كما في الاصل جمع «سَجْلٌ» وليس فيها شيء مما درج عليه المعاصرون الذين حولوا الكلمة في استعمالهم الى «مصدر» وكانه في استعمالهم مصدر لـ«ساجل» مثل: سابق ومصدره «سباق» و«مسابقة».

أقول أيضا : ان الاقدمين ذهبوا في دلالة «السجال» وهي جمع الى معنى المبادلة والمعاقبة فاخذوا من السَّجْل وهو الاسم المساجلة ولم يحولـوا السجـال الى مصـدر نحـو: السباق والمسـابقـة، والصراع والمصارعة، وغيرهما كثير جدا.

واريد ان أقول ان مصدر «فاعل» هو المفاعلة والفعال وهذا لا

---

(1) الشرق الاوسط في 1989/4/26.

(2) لسان العرب (سجل)

(3) المصدر السابق.

يعني ان كل فعل على هذا ياتي منه هاتان الصيغتان فكثيرا ما اكتفى في العربية باحدهما وهجر الاخر على قياسيته. الا ترى انك تقول: «المباراة» من الفعل «بَارَى» ولا تقول برَاء ولم يجربه الاستعمال. وتقول: مضاحكة ولا تقول ضِحَاك وتقول ملاَعبة ولا تقول لِعَاب وتقول مكاثرة ومكابرة ولا تقول كِثَار ولا كبار.

ومن هنا كان على المعاصرين ان يكتفوا بـ«مساجلة» لان السجال بقيت في العربية جمعا، ولم ترد مصدرا وان كانت قياسية كالمساجلة.

واستعمل الزملكاني صاحب «البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن»[4] في كلامه على الاحرف في فواتح السور كلمة التساجل ولم يرد هذا المصدر في كتب اللغة، ولكن المؤلف جعله من قبيل التبادل والتناوب ونحوهما، وكان موفقا فيه، قال:

«انها كالمهيّجة لمن يسمعها، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل في الاعلام»...

أقول: فكيف نقول في «سجال» في استعمال المعاصرين الذين حولوها مصدرا؟

الجواب عن ذلك: ليس من ضير في هذا، وقد استوحى المعاصرون هذه الدلالة من المعنى في الاصل وانها شيء مثل المساجلة بل قل نظير المساجلة في القياس، وليس لي ان اهرع الى القول بـ«الخطأ».

أقول: إن المعاصرين حين درجوا على استعمالهم هذا، لم يشعروا انهم تجاوزوا الاصل، ولعل كثيرين منهم لم يعرفوا دلالة «السجال» في استعمال العرب الاقدمين، ولكنهم يستعملون الكلمة حين يبدؤها احدهم فتشيع، أفلي ان اقول: ان الكلمة قد «تُرْزَأ» بشيوعها؟ على ان في العربية شيئا من هذا التحول كما سنرى

---

(4) من منشورات ديوان رئاسة الاوقاف في بغداد، سنة 1974 وانظر ص 57.

2 - شتّى

استعملت «شتى» في قوله تعالى: ان سعيكم لشتّى[5]، والمعنى: مختلف متعدد والكلمة خبر والخبر يفيد الوصف، وكأنّ «شتى» نعت أو صفة في المعنى في حين وردت للمبتدأ اسم ذات في قوله تعالى «وقلوبهم شتى»[6].

والخبر «شتّى» في الآية تومىء الى انها، شتى جمع شتيت، كما سنرى في المثل العربي القديم، الذي يشير الى دلالتها على الجمع «شتى يَؤُوبُ الحَلَبة»[7].

وكلمة «شتى» في الاصل جمع شتيت مثل جريح وجرحى ومريض ومرضى.

وقد فطن الى هذا الدكتور مصطفى جواد[8]، وأشار الى انها في الاستعمال قد ابتعدت عن بناء الجمع وتحولت الى ما يشبه النعت او الصفة.

اقول: والذي ذكرته انا من استشهاد بالآية الكريمة لدليل كاف يؤيّد راي الدكتور مصطفى جواد في تحول هذه الكلمة الى معنى الصفة او النعت كما ان استشهادي بالمثل القديم يدل على اصالة الجمع فيها.

3 ـ غُـــزّى

جاءت هذه الكلمة في قوله تعالى: «أو كانوا غُزَّى»[9]، في المصحف الكريم الذي بين ايدينا، وقرِئت «غُزَاة» بضم الغين وفتحها كما قُرِئتْ «غِـزيّ» بكسر الغين وتشديد الياء، وكلها بمعنى الجمع،

---

(5) 4 سورة الليل.

(6) 14 سورة الحشر.

(7) مَثَل يُضْرب في اختلاف الناس وتفرقهم في الاخلاق. انظر: مجمع الامثال 1/358 (ط. دار الفكر) ـ بيروت.
«شتى» بمعنى متفرقين، وهي في موضع الحال، اي يؤوب الحلبة متفرقين.

(8) محاضرات الدكتور مصطفى جواد لطلبة دار المعلمين العالية ببغداد سنة 1943 م.

(9) 156 سورة آل عمران.

والمفرد «غَازٍ»،[10] وكذلك (غَزِي) مثل (نَدِي) و(نَجي) وهما جمع (ناد وناج). والذي دل عليه الاستقراء ان بناء «فُعَّل» من أبنية الجمع يكون جمعا لـ«فاعلٍ» صحيح اللام لا معتلها نحو: ساجد وراكع ،وجمعهما «سُجَّدٌ» و«رُكَّعٌ» ومن هنا كان «غُزَّى» في لغة التنزيل العزيز من الجمع القليل.

ومجيء غُزَّى في الآية يقدم فائدة تاريخية نخلص منها الى ان اللغويين حين عرضوا لأصول اللغة لم يفيدوا الفائدة القصوى من لغة التنزيل.

4 – فوْضَى

وهذه كلمة اخرى وُفِّقَ الى معرفتها الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ حين لمح الجمع في دلالتها وقال: هي «فَضَّى» في الاصل ثم عرض

(10) لم يرد فاعل على «فُعَّل» في الناقص الا هذا الجمع، والكثير فيه بناء «فُعَلَة» نحو: حَامٍ وجمعه «حُماة» وداعٍ و جمعهُ «دعاة»، وهذا كثير فاش. غير أن في العربية نوادرٌ تبتعد عن الكثير المسموع، ومن هذا ورد «جُمَّلْ» بمعنى الحِبال الغليظة جمع «جُمَل».

ولنا ان نستشهد بقوله تعالى: «حتى يلج الجمل في سمّ الخياط». 40، سورة الاعراف وقد جاء في «الجُمل» في هذه الاية كلام كثير، فقد قرأ ابن عباس «الجُمَّل» بمعنى الحبال المجموعة.

وروي عن أبي طالب أنه قال: رواه الفراء، قال: ونحن نظن أنه أراد التخفيف.

قال أبو طالب: وهذا لان الاسماء انما تأتي على «فَعَل» مخفف والجماعة تجيء على «فُعل» مثل صُوَّمَ وقُوَّمَ. قال ابو الهيثم: قرأ ابو عمرو والحسن ، وهي قراءة ابن مسعود «حتى يلج الجُمَل» مثل «النُّغَر».

وحكي عن ابن عباس: «الجُمَّل» بالتثقيل والتخفيف، فأما «الجُمَل» بالتخفيف فهو الحبل الغليظ وكذلك «الجُمَّل» مشدد. قال ابن جني: هو «الجُمَل» على مثال «نُغَر» والجُمْل على مثال«قُفْل»، والجُمُل على مثال «طُنُب»، و«الجَمَل» على مثال «مَثَل».

قال ابن برِي: وعليه فُسر قوله تعالى: حتى يَلِج الجَمَل في سمِّ الخياط، فأما «الجُمْل» فجمع «جِمل» كأسْدٍ جمع «أسد» ولنرجع الى «غزّى» فنجد الازهري يقول: «الغُزَّى على بناء الرُّكَّع و«السُّجَّد» واستشهد بالاية وجاء في جمع «غَازٍ» «الغُزَّاء» بالمد مثل فاسق وفسّاق (انظر لسان العرب (غزو).

ومن المفيد أن أشير الى ما ورد في إنجيل متى مما يتصل بـ«الجُمَل»، وقد ذهب الشراح الى ان المراد هو الحيوان المعروف ثم عرض نفر من الشراح فصححوا شرحهم وذهبوا الى ان المراد بـ «الجَمَل» هو الحبل الغليظ.

لها الابـدال بعد فك الادغام فصارت «فوضى» وقال: أن المفرد منها فضيض مثل شتيت التي جمعت شتى وقد سبق الكلام عليه.

أقول: لم يكن شيء من هذا لدى اللغويين الاقدمين كما نستفيده من المعجمات ذلك انهم ذكروا: فَوْضَى وفَيْضَى و«فيضوضا» ولم يلمحوا ان اصلها فَضَى على نحو ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد.

أقول: أن فوضى قد حولت في استعمالهم الى نوع من المصدر، وكـانها صارت تفيد ما يفيده «الاضـطراب» وعـدم النـظام وهـذا في استعمال الاقدمين ايضا، غير اننا نجد في شعر الافوه الازدي قوله:

لَا يَصْـلُحُ الـنَّـاسُ فَوْضَـى لَا سَرَاةَ لَهُـمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّـالُـهُـم سَادُوا[11]

وكلمة فوضى تفيد الوصف ومعناها مختلطون ومن هنا يصح لي ان المح صواب ما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد[12].

5 ـ مشاكل

أقول: هي كلمة شاعت في العربية المعاصرة جمعا لـ«مشكلة» وهي في الاستعمال القديم جمع سالم مؤنث «مشكلات».

وقد كثر استعمال مشكلة في العربية المعاصرة، وكذلك جمعها، لقـد اختـار المـترجمـون النقلة في المشرق العربي كلمة مشكلة مؤنثة للكلمـة الانقليزية Problem فشـاعت وكتب لها السـيرورة، ولو أنهم اختاروا كلمة اخرى بمعناها نحو معضلة مثلا لشاعت ايضا، في حين

---

(11) انظر لسان العرب «فوضى» وجاء فيه بما يُشْعِر الصفة وليست جمعا قول الشاعر:
طَعَامُهُمْ فَوْضَى فَضا رحالهم ولا يحسبُونَ السوء إلّا تَنَادِيَا
وهم فوضى أي مختلطون لا أمير لهم يجميهم.
ويقال ايضا، فَيْضَى، وفَيْضِيضَا، وفَوْضُوضَا، ويمدّ جميعه.

(12) أقول: رجعت الى مادة «فضض» لاتبين معناها في الاصل واعرف الصلة بينه وبين ما آلت اليه بعد الابدال. لقد عرفت ان «الفَضّ» هو الكسر، وان الدلالات للكلمة كلها لا تبعد عن الكسر حقيقة ومجازا، و«الفَضِيض» هو المكسور. واذا كانت «فوضى» تعني «المختلطين» فكأنهم أجزاء متفرقة اختلطت على غير نظام.

وجـد المـترجمون النقلة في المغرب العربي ان هذه الكلمة في الفرنسية مذكرة فاختاروا لها «المشكل».

ولن تجد التونسي الا قائلا المشكل في هذا الامر هو كذا وكذا كما لن تجد المشارقة الاّ قائلين «المشكلة الكبرى» ثم اعود الى جمعها فأقول ان «مشكلة» هي بناء اسم الفاعل من الرباعي نحو «معضلة» وجمعها معضلات ولا نقول معاضل كما نقول مشاكل ولكننا نقف على قوله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع»[13].

واسم الفـاعل هذا لا يأتي منه «مَفَاعِل» في الجمع الا نوادر قليلة و«المراضع» جمع «مُرْضِعَة» لا «مُرْضَعْ» ومن هنا يكون لنا ان نحكم بصحة مشاكل ولي ان اقول في هذا الجمع ما قيل في جمع مصيبـة فقد جمعت على مصائب وهو الكثير ولكنه على غير قياس وجمعت على «مَصَاوب» واسم الفاعل لا يجمع على مفاعل الا انهم توهموا ان المفرد مصَيبة على وزن فعيلة لا «مُفعلة»[14].

وكأن هذا الذي عبروا عنه بـ«التوهم»[15] صوغ هذا الخروج عن القياس.

---

(13) 12 سورة القصص.

(14) انظر لسان العرب مادة (صوب). ثم ان الجمع «مصائب» بالهمز، فضلا عن خروجه عن القياس كما قالوا، فيه خروج آخر عن القاعدة الصرفية التي تقضي بعدم قلب الواو والياء همزة عند الجمع كما نقول في جمع «مشيخة» «مشايخ» بالياء، وفي جمع مصيدة «مصـايد»، ولكن المعاصرين استبدلوا بالياء همزة ظنا منهم انه هو الفصيح فقالوا: «مشائخ» و«مصائد». وعلى هذا خطّأ البصريون «معائش» في قراءة نافع المدني، وذهب أهل القراءات الى انها قراءة موثقة صحيحة، والقراءة العالية حجة، ونافع من اهل الثقة في هذا الفن.

(15) جاء في العربية «المسيل» أي السيلان، وهذا يعني أن الاصل هو مادة «س ي ل» غير ان جمع «مسيل» جاء على «أمسلة» و«مُسُل» و«مُسْلان» و«مَسَائل»، وكله توهم أصالة «الميم» في «مسيل» اي انه على بناء «فعيل».
والذي الاحظه ان الجمع الاخير «مسائل» بالهمزة، والقاعدة الصرفية تقضي ان يكون بالياء «مسايل» لاصالة الياء في «س ي ل». وكأن الاستعمال قد خرج على القاعدة الصرفية، أو أن أصحـاب المعجمات واللغويين قد اغفلوا القاعدة الصرفية، نظير ما =

6 ـ مصائـــــر

أقول : في تاريخ هذه الكلمة المجموعة انها جمعت وشاعت في هذه الصيغة في العربية المعاصرة ذلك انها وردت مفردة عدة مرات في لغة التنزيل[16] وان ورودها مفردة في لغة التنزيل يشير الى ان الكلمة. وهي مفردة، تؤدي ما يراد منها،فليس ثمة حاجة الى ان تجمع .

وقد نسأل : لم كان هذا الجمع؟ والجواب عن هذا ان العربية المعاصرة جمعت الكلمة تأثرا باللغات الغربية التي ترد فيها هذه الكلمة مجموعة، كأن يقال فيها «مصائر الامم» او «مصائر» الشعوب التي ما زالت تحت نير الاستعمار ومثل هذا.

= جاءت في «مصائب»، ونظير الشائع الكثير على التوهم أو الخطأ في «مصائد» و«مشائخ» .

ومثل هذا جمع «مكان» على «أمكنة» بتوهم اصالة الميم من «مكان» وكأنها وزان «متاع» وجمعها «أمتعة». ولابد ان يكون أصل «مكان» من مادة ك و ن. انّ مادّة «ك ن ن» كما في «كِنّ» و«كِنّان» كلّها تدل على الظرفيّة المكانيّة، وكذلك «و ك ن». أقول : ولكثرة استعمال «مكان»، واقترانه بـ «زمان» جعلت الميم اصلا على التوهم فَجمع هذا الجمع . وأصله «الكون» أو «الكينونة». وكأن هذا المصدر الاخر يومىء الى أن «الكون» الاجوف جاء من الثلاثي المضاعف «ك ن ن»، كما أن «الغيبة» و«الغياب» من «الغَبّ» ويستدل على هذا من «الغَيْبُوبة». وقد تلمح المضاعف يتحول الى الناقص كما في «غضّ» الذي تحول الى «أغضى» ومثله بوجه خاص تحول «مَطّ» الى «مطى» مع بقاء التشديد و«مطل» الفتح في الطاء من «مط» كما ورد في قوله تعالى : «ثم ذهب الى أهله يتمطّى» «(33 سورة القيامة) . والاستقراء الكثير في الافعال يدل على نظائر هذا الاخير ومنه : «ذَرّ الذي يتحول الى ذَرَّى» .

وأعود الى «كون» و«ك ن ن» فأجد أن الدلالة واحدة تجمع بين الاثنين، فكلاهما يشير الى «الوجود» . ولعل من هذا أيضا «الضُّرُّ» و«الضَّرَرُ» من المضاعف و«الضَيْر» من باب الاجوف . وأنا أجتهد فأقول : انّ المضاعف هو الاصل، ذلك انه الخطوة الاولى في تحول الثنائي «ضر» الى ثلاثي وهو ضرر، والاستقراء يشير الى كثير من هذا .

(16) وردت كلمة «مصير» في لغة التنزيل 28 مرة أجتزىء منها بما أثبته : قوله تعالى «وبئس المصير» 126 البقرة، وقوله تعالى : «والى الله المصير» 42 سورة النور، وقوله تعالى «وساءت مصيرا» 97 سورة النساء. وقوله تعالى : «قل تمتعوا فإنّ مصيركم الى النار» 30 سورة ابراهيم . أقول : «ان المصير في هذه الايات يعني النهاية والعاقبة، وهو هنا مصدر ميمي بمعنى الصيرورة أو الصير. وقد يكون في هذه الدلالة الاصلية أساس لكلمة «المصائر» في اللغة المعاصرة، هذه الكلمة التي تجاوزت في جمعها معنى النهاية أو العاقبة الى شيء آخر يتصل بها سيؤول اليه الامر من أحداث .

والكلمة الانقليزية Destiny والكلمة الفرنسية Destin او الكلمة الاخرى Sort يأتي كله مجموعا في هاتين اللغتين:

ولما كنا ننقل عن هاتين اللغتين اضطرارا وحاجة فلابد ان ننتهي الى هذا الذي حصل من جمع هذه الكلمات، أقول أيضا: ان المعربين في عصرنا يجهلون دقائق العربية وهم يحسبون مصائر بالهمز فصيحة، ولو قال احدهم «مصاير» لحسبوا انّه متأثّر بالاعراب الدارج العامّيّ ولم يعلموا ان «مصاير» بالياء هي الفصيحة وان الياء فيها لا تبدل همزة وهي نظير مصايد ومشايخ وليس لنا ان نهمز هذه الالفاظ لان الياء فيها اصل.

ان الياء في مصـاير ليست كالياء في حديقة التي تبدل همزة في الجمع فنقول: حدائق لانها زائدة وليست اصلية والفعل «حدق».

ثم ان المعاصرين قد جمعوا «مصير» على «مصائر» جمع توهم، فكأن الميم اصل في الكلمة، وهي بذلك وزان«فعيل» كما قيل في «سرير» «سرائر» وهو غير «سُرُرٌ» و«أسرّة».

وقد مرّشيْءٌ من هذا في تعليقنا على «مصيبة» و «مصائب». ومصير اسم مفعول لا يمكن ان يجمع على مصاير لولا فذلكة التوهم.

7 ـ مصاعب

«المصاعب» جمع «مُصْعَبْ»، وهو الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة.

قال أبو ذؤيب:

كأنّ مصـاعيب زُبَّ الـرؤو س فِي دَارِ صَرْمٍ تَلاَقَى مُرِيحا

قالوا أراد «مصاعب» فزاد الياء لتأتي له «فعولن».

أقول: وجدت هذا دليلا على ان حذف الياء هو الفصيح وليس العكس.

وقد فات الدكتور مصطفى جواد هذا في ذهابه الى ان جمع معجم هو معاجيم كانه حملها على المسانيد جمع مُسْنَد والمراسيل جمع مرسل من مصطلحات الحديث الشريف.

بين الاصالة والتوهم

ذكرت ان «المسيل» هو السيلان ومن هنا كانت الميم زائدة، ولما جمع المسيل على «أمسلة» و«مُسُـل» و«مُسْلان» و«مسائل»، علم انهم توهموا أصالة الميم، وهي زائدة في الحقيقة.

والامـر يتجـاوز هذا ذلـك ان اللغويين أفردوا لها مادة في المعجم القديم، وكأنها أصل، وزاد فيها المعربون وذهبوا كل مذهب فكان منها «المَسَل» لمسيل الماء ايضا وكان منها «المَسْل» باسكان السين للقطر. ومن عجب أن جملة هذا في مادة «مَسَلَ» ولم يكن له اشارة في مادة «سَيَل» ومن هذا ايضا أن «مدينة» قد جمعت على مدائن، ولم يلتفت الى أصالة الياء بل حسبت مثـل ياء «فعيلة» زائـدة فجمعت على ذلك فكانت «مـدائن». وقد جعلها اللغويون أصلا في المعجم القديم «مَ دَ نَ». والحقيقـة التاريخية تشير الى أنها «د ي ن»، غير أنّ مادّة «د ي ن» في المعجم القديم قد خلت مما يشير الى «المدينة». إن المدينة تشير في صوغها الى أنّها من «الدين» اي الحساب ومن هنا انصرفت الى معاني التمدن والتحضر. أن «يوم الدين» في الادب الاسلامي هو يوم الحساب ويوم الحكم.

وهذا المعنى هو نفسه في الاصول السامية، فبيت الدين هو هذا المعنى في اللغة الآرامية، ومن هنا سميت كنيسة «بيت الدين»، وهي من حواضر لبنان. وبيت الدين בית דין في اللغة العبرانية تعني بيت الحكم اي المحكمة.

فمن حقنا ان نضع الاصلين في المعجم التاريخي، ويشار في مادة «د ي ن» الى مادة «م د ن». وقد فطن الازهريّ الى شيء من هذا في جموع «مسيل» التي تقدمت فقال: وهذه الجموع على توهم ثبوت الميم أصلية مثل مكان وأمكنة، قال ساعدة بن جؤية: يصف النحل.

منها جوارس للسراة وتختوي[17] كَرَبَات أَمْسِلَةٍ إذا تَتَصَوَّبُ

ولكن الازهري حين أتى بالشاهد أراد أن يثبت معنى «أمسلة» فيه فقال: و«الأمسلة» جمع «المسيل»، وهو الجريد الرطب، وجمعه «المُسُل».

وقال: «سمعت أعرابيا من بني سعد نشأ بالاحساء، يقول لجريدِ النخل الرطب: «المُسُل»، والواحد «مسيل»[18]

ومن هذا أيضا قولهم «ماء معين» اي صاف عذب نمير، وقد حسب «المعين» قال تعالى: «يطاف عليهم بكأس من معين» 45 سورة الصافات. وقوله تعالى: «قل أفرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء من معين» 40 سورة الملك.

وقد ورد «المعين» في مادة «عين» في المعجم القديم، وورودِه هنا يشير الى أصله وهو «عين الماء». كما ورد في مادة «مَعن»، ومن دلالات «المَعْن»الاستقاء[19]. الا أنّ «معن» دلت على مواد كثيرة ابتعدت عن الماء والاستقاء فصارت مادة قائمة وحدها، لا صلة لها بـ «عين». ومن ذلك «المعان» بمعنى المكان أو المنزل، و«الماعون» بمعنى الطاعة والزكاةوأسقاط البيت.

ومن هذا أيضا «المكان» الذي جمع على أمكنة، وقد سبق الكلام عليه.

ولكني أضيف هنا الى أنّ شهرة «المكان» وسيرورة استعماله جعلا منه أصلا. أقول: «أصلا» لانهم أخذوا منه الفعل «م ك ن» الدال على القدرة، و«التمكن» الثبوت في المكان والاستقرار فيه ثم اتُسِعَ فيه الى

---

(17) تختوي اي تأكل

(18) لسان العرب («مسل») أقول: لم يرد شيء من هذا في مادة «سَيَل».

(19) قيل فيه: ماء معين أي معيون ووزنه «مفعول» وحسبت الميم أصلا فقيل: وزنه «فعيل».

القـدرة مطلقـا. و«المكين»: هو القادر المتمكن ذو المكان[20] وكأنهم حسبوه على «فعيل» ولم يُلمِحُوا الى أنه من «ك و ن».

خاتمة

وبعـد فهذا موجز مفيد عرضت فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشققت فيها الكلام على الاصول وما عرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضروب من الاتساع حتى انتهت الى ما انتهت اليه. وكأني أدرك ان المعرب القديم تجاوز فيما دعي بـ «التوهم» مسألة الصواب والخطأ.

ومن عجب انه صوّب مسائل ضاق بها المعاصرون فذهبوا فيها الى الخطإ. ويحسن بي في هذا الصـدد أن أفيد من سماحـة لغـة الـذكر وشجاعتها فأورد منها: الاول: وهو مفيد كل الفائدة من الناحية اللغوية التاريخية، قال تعالى: «إن السموات والارض كانتا رَتقًا فَفَتَقْنَاهُمَا. . .» (30 سورة الانبياء). فعـوملت «السموات» و«الارض» مثنّى فقال: «كـانتا» ثم «ففتقناهما». فلينظر أصحابنا الذين لا علم لهم شجاعة العربية في هذا الكلم البليغ: الا ترى كيف استقام وضع الجمع مع المفرد ثم الاخبار عن هذه التركيبة بما يشعر أنهما مثنى.

والثاني: مجيء مُفْعِلة مجموعة على «مَفَاعِل» كما في قوله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع من قبل»[21]. أقول: و«المراضع» في سياق الآية تشـير بوضـوح الى أنها جمع «مرضعة»، وهي أدل من ان تكون جمع

---

(20) قال تعالى: «انك اليوم لدينا مكين أمين» 54 سورة يوسف
«فجعلناه في قرار مكين» 21 سورة المرسلات.
«ثم جعلناه نطفة في قرار مكين» 13 سورة المؤمنون.

(21) سورة القصص

«مُرضع»،وإن كان هذا لا يمتنع .ومن هنا فهو من الجمع العزيز الذي نستدل به على قوة جمع « مصائب» التي تقدم الكلام عليها. الثالث: وهو قوله تعالى: «فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين»[22].

وفي هذه الاية اجتمعت التثنية والجمع، فالمتحدث عنه مثنًّى، والضمير الذي عاد عليه ضمير تثنية وهو ألف الاثنين في «قالتا»، ولكن المحمول عليها من الوصف الذي جاء حالا من الضمير في «أتينا» كانا جمعا مذكرا سالما وكأن السماء والارض حين نسب اليهما ما هو خاص بالآدميين، وهو القول، صوّغ ذلك أن يجيء لهما ما جاء في الآية في قوله تعالى: «أتينا طائعين»، وأن تعامل في النحو معاملة العاقل فتتحدث بلسان العاقل كما ورد في الآية الكريمة.

أقول: لو كان لي أن أتوسع قليلا لتجاوز مني هذا الموجز الصفحات الكثيرة، وفي الذي أوردته بعض ما أرمي اليه.

وهذه طائفة اخرى من الجموع مما جاء في العربية على «أَفَاعيل» و«فَعَالِيل» و«تَفَاعيل»، وقد يجيء على «فَعَالِلْ» وأبنية أخرى.

وقد بدا لي أن اعرض لهذه الطائفة من الجموع لخصوصية فيها، ذلك أنّ الجموع قد اهتدى اليها المعرّبون قبل أن يكون في كلامهم ولغتهم مفرداتها. إنهم بنوا الجموع على مصادر موادها كما نرى وسأدرج هذه الطائفة من الجموع على حسب حروف المعجم، ودونك ما وصل اليه استقرائي.

1 ـ أبـابيـل

«أبابيل» وهي الجماعة في تفرقة ولم ترد هذه في العربية سوى في قوله تعالى: «وأرسل عليهم طيرا أبابيل»[23].

---

(22) 11 سورة فصلت

(23) 3 سورة الفيل

قال القدامى من علماء اللغة وأصحاب «غريب» القرآن: إنها جمع لا واحد له بمنزلة «عباديد» و«شماطيط» و«شعاليل».

غير أن نفـرا من أهل اللغة أعملوا النظر فأخرجوا لهذا الجمع مفـردا، وكأنهم تخيّلوه وهو بحسب تصورهم: «إِبِّيل» و«إِبَّوْل» وقالوا أيضا «إِبَّالَة»، ولم يرد أيّ من هذه المفردات في نصوص العربية[24].

2 ـ أســاطيــر

«الاساطير» معناها ما سطره الاولون، وواحد الاساطير أسطورة مثل أحدوثة وجمعها أحاديث أقول: وردت «الاساطير» في آيات عدة بقـولـه تعـالى: «أساطير الاولين» والكلمة جمع، ولم يسبقها المفرد في الاستعـمال بدلالة ما قيل في المفرد، فقد ورد في كتب اللغة: واحدة الاساطير إسطار وإسطارة وأُسْطِير وأُسْطيرَة وأُسْطُور وأسطورة.

وقال قوم: أساطير جمع أَسْطَار، وأسطار جمع سَطْر فكأن «أساطير» على رأي هؤلاء جمع الجمع.

وقال ابو عبيدة: «سطر ويجمع على أَسْطُر ثم جمع على أساطير».

أقول ايضا: وهي لا تخرج في الدلالة عما يسطر من كتابات وهي في قوله

(24) قلت: ان المفرد لهذا الجمع غير معروف في العربية بحسب الاستقراء، ولم يرد كذلك هذا الجمع الا في الاية الكريمة التي ذكرناها. وعلى هذا يصح لي أن أجتهد فأذهب الى سبق بناء الجمع وارتجاله في العربية.

ومثل هذا أبنية مجموعة أخرى. وقد يكون لي ان أثبت ان العوام في الالسن الدارجة قد كان لهم شيء من هذا فالعراقيون ولدوا جمعا هو «تفاليس» لمجموعة من «الافلاس» التي تتهيأ لأحـدهم في «جيبـه» أو محفظة نقوده فيقولون مثلا: «لم يبق عندي سوى «تفـاليس» وهي «الافـلاس» من النحاس. وليس من شك أن المفرد غير موجود في درجهم ولكنهم تصوروا الجمع وأفادوه من كلمة «فلس». وليس لنا أن نقول: ان المفرد «تفليس» بحسب القياس، ذلك أن هذا غير موجود فيما يدرجون فيه من كلامهم. ومن هذا ايضا استعمال عامة العراقيين جمعا آخر هو «تناتيف»، ويريدون منه الدقيق من قطع الاشياء المتفرقة التي يضمها المتكلم بعضها الى بعض مع تفرقتها. أو كان أحدهم يأتي بأجزاء صغيرة تتصل بهذا الشيء أو ذاك وليس لهذه «التناتيف» مفرد هو مثلا «تنتوف» أو «تنتوفة» أو «تنتيفة» بحسب القياس.

وسأذيل هذه الطائفة من الجمع بما ولّده العراقيون من العامة من هذا ولم يكن له مفرد

تعالى تحتمل النبز أي أن كتابات الاولين لا تعني شيئا ذا قيمة.
وقد وردت في الجمع وهو المراد المقصود ولم يستعمل المفرد لهذا المعنى في النبز، ومن أجل ذلك أعمل اللغويون نظرهم فوضعوه في عدة أبنية ذلك أنهم نظروا في الأشباه والنظائر فكان من ذلك أبنية عدة في المفرد وأما ما يذهب اليه المعاصرون من فهم للأسطورة فلم يكن في نصوصنا الأدبية التاريخية شيء يومىء الى شبه يسير بما يعرف عن «الأساطير» لدى الاغريق والرّومان وشعوب الشرق القديم. و«الأساطير» في فهم المعاصرين واستعمالهم جمع مرتجل لاواحد له ولكنهم قالوا : «أسطورة» وحملوها ما لها في اللغات الاجنبية «Fable» أو «Mythe» .
وحقيقة الاسطورة في العربية أنها تدل على غير ما تدل عليه في اللغات الاجنبية: إنها مجموعة أسطر أو كتابة شيء مسطور. وهي مأخوذة من الجمع «أساطير» قياسا على نظائرها الاضاحيك والألاعيب والأهاجي جمع أضحوكة وألعوبة وأهجية.

3 ـ أشـــائـــب

و«الأشائب» هي الاخلاط، وهُرِعَ أهل «المعرب» الى القول إنها فارسية وان أصلها أشوب
أقول: وأصحاب المعجمات جعلوها أصلا وهو«أَشَبَ» و«أَشِبَ الشيء» أي خلطه و«الأُشابة» من الناس الاخلاط قال النابغة:

وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت كتائب من غَسَانَ غير أَشَائِبِ

أقول أيضا : ومن حق صاحب المعجم التاريخي أن ينظر في الأصول المتشابهة ويصل العلاقات بينها، إذ لا بد لكل منها أن يتصل بصاحبه وأن هذه نسيج واحد يتصل سداه بلُحْمته.
إن مادة «أشب» لابد أن تكون مع مادة «شوب» شيئا واحدا، فالشوْبُ هو الخلط. وكل ما جاء في «الشوب» من دلالات كالعسل وغيره مثلا كان معنى «الخلط» حاضرا فيه.
و«الشائبة» وجمعها «شوائب» هي الاقذار والأدناس تومىء

بوضوح الى «الخلط». ومن هنا كان بين المهموز «أشب» والاجوف «شوب» علاقة الشيء الى نفسه. أو قل: إن «شوب» هو الاصل قد ذُهِبَ به الى المهموز ومن هذا الكثير في العربية ومنه «شور» ومنه «أشار» نجده واضحا في «أشِرَ».

ومن المفيد ان يشير صاحب المعجم التاريخي، وحقه ذلك، الى مادة «شيب». إن دلالة «الشيب» معروفة في العربية، وهو ابيضاض شعر الانسان، ومنه الاشيب للرجل، ولا يقال للمرأة «شيباء».

والأساس هو اختلاط البياض بالسواد، وَخُصَّ بشعر الانسان. وكأن فكرة الخلط حين اكتسبت هذه «الخصوصية» اتسعت في العربية فأفادت من الواو والياء، فانصرف «شاب يشوب» الى مطلق الخلط، وانصرف «شاب يشيب» الى الخلط الخاص بين اللونين في الشعر وهما البياض والسواد. وهذا معروف في العربية وله نظائر، ألا ترى أنّ «البَوْن» هو المسافة وأنّ «البين» هو البعد والفراق، وليس هذا وذاك بعيدا عن كلمة «بين» الظرف المكاني ثم الزماني. ومثل هذا «الطَّيْر» ودلالته معروفة، و«الطور» ودلالته على التقلب منصرفا الى مصدر أُمِيت فعله هو «طار يطور».

4 ـ أظـافيـر

و«الأظافير» جماعة الأظفار.

وقالوا: الظُّفْر وجمعه أظفار وأُظْفور[25] وأظافير.

---

(25) أقول: اذا كان «الأظفور» بضم الهمزة يدل على الجمع مع أنه قد يدل على «الظُّفْر» فهو في هذا لا يدخل في باب اسم الجمع، وهذا قليل.

ومن المفيد أن أشير الى ان بناء «أفعول» بفتح الهمزة من أسماء الجمع وهو كثير في اليمن، قال الاستاذ القاضي اسماعيل بن علي الاكوع في مبحث له مفيد نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد 61 ج 2) في «الأفعول» وما جاء على وزنه من اسماء الأعلام والقبائل والبلدان في اليمن:

«وكان لسان اليمن الحسن بن احمد الهمداني المتوفى في حدود منتصف المئة الرابعة للهجرة هو أول من تنبّه الى هذا الامر فقد ورد في كتابه «الاكليل» ما لفظه: وكثير من

وهو الأظفور، وعلى هذا قولهم أظافير، لا على أنه جمع أظفار الذي هو جمع ظُفْر.

أقول: والذي درج عليه المعربون في أيامنا أنهم يقولون في جمع ظُفْر «أظافر»، فلم يرد في كلامهم ولا في كتابتهم «أظفر» ولا «أظافير». وقدً تكون «أظافير»، وهو جمع «ظُفْر» او «أُظْفُور» على قول جماعة، غير داخلة فيما انا فيه، ذلك انها جمع مفرده معروف، وكنت قدمت أن طائفة الجموع التي تكلمت عليها هي تلك التي اهتدى إليها المعربون في ممارستهم اللغوية ولم يفكروا في المفرد لها ولم يرد في استعمالهم. ولكن اللغويين فكروا فيه فذكروه في صيغ عدّة كما رأينا في «أبابيل» و«أساطير».

قبائل حمير تأتي على «الافعول» (الاكليل) 2/449 وقال في مكان آخر من هذا الكتاب: «وانما هذا اسم كأنه جُمّاعٌ قبيلته (الاكليل 1/124). وقد سار القاضي اسماعيل بن علي الاكوع على هذا النهج فاستوفى في مبحثه الذي اشرنا اليه ما جاء على «أفْعُول» من اسماء الاعلام والقبائل والبلدان. وأشار الى أن هذا الوزن موجود في الحبشة، وقال: «واغلب ظني انه انتقل اليها من المؤثرات الثقافية في اليمن. وأشار الى ما ذكره: «ديتلف نيلسن» في كتابه «التاريخ العربي القديم» ص 31.

وأشار الى قول الدكتور عبد المجيد عابدين في كتابه «بين الحبشة والعرب» ص 103، 304 الذي ذهب فيه الى ان هذا الوزن حبشي ثم عرفه أهل اليمن.

قال القاضي الاكوع: «ولو أن الدكتور عابدين اطلع على كتاب «الاكليل» و«صفة جزيرة العرب» للهمداني لغير رأيه ثمّ قال: وقد تبين أن ما جاء من هذه الصيغة مفتوح الهمزة مثل قولهم: في الاحباش «الأَحْبُوش» (كتاب الاشتقاق لابن دريد 193) وفي العبيد جمع عبد «الأعْبُود» فهو صيغة جمع، وما جاء مضموم الهمزة مثل الأُصْبوع والأُظْفُور لغة في الأُصْبُع والظُّفْر، والأُسْروع واحد الاساريع وهو الأغصان الرطبة التي تخرج من شجر العنب، والاسنوم عضات ترعاها الابل فهو في الاغلب صيغة مفرد مثل الأُمْلوح والأُمْلود وغيره. ثم مضى القاضي الاكوع يذكر ما ورد على افعول بفتح الهمزة من أسماء الجمع مرتبة على حروف المعجم وكله كلمات يمنية في القبائل والبلدان جاءت على بناء الجمع.

أقول: والذي ورد في العربية من بناء الجمع هذا ثلاثة الفاظ ذكرها اهل اللغة وهي: «أُمْعُوز» للقطيع من الظباء، «أُحْبُوش» لجيل الحبش، و«أُرْكوب» للجماعة من الركاب، وهي بضمّ الهمزة ولم يذكروا معها «أُسْطور» «وأُظْفُور».

وسيقال إذن، لم ذكرت «الأظافير» وهي مخالفة لما اشترطت وذهبت اليه ؟

وأنا أرد على هذا القائل محترزا بما ذهب اليه أحد الدّارسين المجتهدين من المسلمين الهنود وهو المولوي السيد كرامَت حسين الكنتوري في كتابه «فقه اللسان» الذي اشتمل على نوادر الالفاظ وما عرض لها في أبنيتها من الإبدال وزيد فيها حتى تحولت من الثلاثي الى الرباعي. وفي هذا الكتاب جاء ان «حذافير» أصلها «أظافير» وسيأتي هذا في حذافير.

والكتاب قد طبع وهو بخط اليد على طريقة «طبع الحجر» في مجلدين في الهند.

5 ـ أظـانيـن

و«الأظانين» على غير قياس، وهي جمع «ظن» مثل «الظنون» وهي من النوادر، وهذه قد يلجأ إليها الشاعر عند الضرورة والحاجة، أنشد ابن الأعرابي:

لأَصْبَحَنْ ظَالِمًا حَرْبًا رَباعية فاقْعُدْ لها ودَعَنْ عنك «الأَظَانِينَا»

وليس لنا أن نعمل فيها النظر والقياس فنذهب الى انها جمع «أظنونة» أو نقول: إنها جمع الجمع.

6 ـ بيـوتـات

و«البيوتات» جمع الجمع، ذلك أن «بيت» يجمع على «بيوت» وأبيات ثم «بيوتات» على جمع الجمع. إن جمع الجمع مادة لغوية لا تعني ما يراد منها في اللفظ اي الجمع الكثير، بل إنها مادة لإفادة الخاص لا العام ان «البيوتات» ذهبت الى عدة قليلة من «البيوت» المشهورة والاسر نحو قولهم: «بيوتات قريش».

ومثل هذا قالوا: «رجالات» للجمع القليل من الزعماء والرؤوس كقولهم «رجالات العرب». إن جمع الجمع في مصطلحه هذا أفاد

الخصوصية المتمثلة في القلة.

وقد استفيد من «جمع الجمع» في الشؤون الفنية فتحول الى مصطلحات فنية كما في مصطلح الصيرفة والمصارف في عصرنا ومنها:

«الدفوعات» لمجموع ما يدفع في المصارف والبنوك.

و«القبوضات» لمجموع ما تقبضه المصارف والبنوك من حرفائها.

و«الحسومات» لمجموع ما يُحْسَمُ من الفوائد المصرفية.

ومن مصطلحات الصوفية «الفيوضات» و«الإشراقات»و «التجلّيات» وغيرها.

7 ـ تعاشيب

و«التعاشيب»: ضروب من النبت، لا واحد له. والعشب: النبذ المتفرق. أقول: هذا مما جرى في لغة الاقدمين، ولم يكن بهم حاجة إلى كلمة منه تكون مفردا.

8 ـ تفاريق

و«التفاريق» في قول ابن الاعرابي: انّ العصا تُكْسَر فيتخذ منها ساجور، فاذا كُسِرَ الساجوراتخِذَت منه الأوتاد فاذا كسر الوتداتُّخِذَت منه التوادي تُصَرُّ به الأخلاف. كل هذا من أجزاء العصا يطلق عليه «تفاريق العصا» وهو يعني ان «التفاريق» مفيدة لصاحبها جاء في الرجز:

أَشْهَدُ بالمَرْوَةَ يومًا والصَّفَا أَنَّك خَيْرٌ من «تفاريق العصَا»

والرجز لغنّية الأعرابيّة، وقيل لا مرأة قالته في ولدها، وكان سديد العَرامة مع ضَعْفِ أسْرٍ ودِقّة. أقول: ولم نجد في نصوصهم ولا في المعجمات مفردا للتفاريق وأنك لو قلت «تفريق» بحسب القياس لم تفد منه الفوائد التي كانت للجمع «تفاريق» في سلوك الاقدمين كما يشير أدبهم.

9 ـ تـلابيـب

و«التـلابيب» بصيغة الجمع في لغة المعاصرين، وأنت تقرأ في أدبهم: «وأمسك بتلابيبه»، ولو أنك سألت من يقول هذا لأفادك أن المراد بـ «التلابيب» هو أطراف الثوب.

وهـذا هو دأب المعـاصرين أنهم كثـيرا ما يستعملون الكلمـة فيعطونها شيئا من معناها أو ما يقرب منه فيحدث في دلالتها ما يمكن أن أدعوه «تطوّر الى الخطأ».

أقول إن الكلمة في الأدب القديم مفرد لا جمع، ودونك ما جاء من ذلك: قالوا: وتَلَبُّبُ المرأة بمِنطقتها هو أن تضع أحد طرفيها على منكبهـا الايسر وتخـرج وسـطهـا من تحت يدهـا اليمنى، فتغطي به صدرها، وترد الطرف الآخر على منكبها الايسر.

وقالوا ايضا: و«التلبيب» من الانسان هو ما في موضع اللَّبَبُ من ثيابه، وتلبّب الرجل، تحزم وتشمّر و«اللَّبَبُ» كاللَّبَّة وهو وسط الصدر والمَنْحَر. و«لَبَّبَ الرجلَ» جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة ثم قَبَضَهُ وَجَرَّهُ، وأخذ بتلبيبه كذلك.

أقول: بعد هذا التوسع نصل الى ما جاء في التهذيب للازهري قال: يقال: أخذ فلان بتلبيب فلان. وفي الحديث: فأخذت بتلبيبه وَجَرَرْتُه.

ومن هنا يتبين أنّ الكلمة استعمل مفردها ولم ير المعربون القدماء حاجة في الجمع لانه لا يدخل في خصوصية الدلالة كما ورد في الشرح. ولكن المعاصرين لم يفهموا خصوصية الدلالة وصرفوا الكلمة «مجموعة» الى المعنى الذي بسطناه فجمعوا ما لم يُعْرَف له جمع لانتفاء الحاجة اليه.

10 ـ جـراثيـم

و«الجـرثومة» أصل كل شيء، وقيل: ما اجتمع من التراب في أصـول الشجر. واستعملت على التوسع فقالوا: فلان طابت أرومته وعزّت جرثومته.

ولم تكن بهم حاجة الى جمعه على جراثيم وإنْ كان هو القياس.

وقال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري الهندي في كتابه الذي أشرنا اليه وهو «فقه اللسان»: «جراثيم» أصلها «سراشيم» جمع «سرش»، وهو عبراني بمعنى الأصل، وقريب منه «ضرس» في العربية، جمعوا «سرش» على قاعدة العبرانية، ثم أخذه العرب بابدال السين جيما والشين ثاء وجمع على الطريقة العبرية «الياء والميم»، وحُسِب جمعا للجرثومة، ولكونها على صيغة منتهى الجموع وضعوا لها مفردا.

انتهى كلام السيد المولوي.

أقول: والذي في السريانية والآرامية هو «شرش» للجذر من النبات والشجر، ومازالت العامية الشامية تعرف هذه الكلمة وكأن أهل الشام أدخلوها في عربيتهم الدَّارجة فجمعوها على «شروش» نظير «جذر وجذور». وقد عرفتها الفصيحة المعاصرة في سورية ولبنان.

أقول أيضا: وقد صَرَّفَ المعاصرون الجراثيم الى مصطلح علمي يفيد الأحياء الصغيرة والطفيلية التي تولّد الأمراض والآفات، وكأنها تعني ما يعنيه لفظ «مكروب».

11 ـ حذافير

و«حذافير» الشيء: أعاليه ونواحيه.

قالوا: فاذا نحن بالحي قد جاؤوا «بحذافيرهم» أي جميعهم.

أقول: وقالوا: المفرد «حذفور» أو «حذفار».

وقولهم: إن المفرد إمّا هذا وإمّا الآخر يومىء الى أنّهم ولدوا هذا المفرد وليس له وجود في كلامهم، ولم نقف فيما بين ايدينا من نصوص على «الحذفور» أو «الحذفار»، فهو شيء مما ولدوه من الجمع الذي فشا استعماله في كلامهم وأدبهم.

أقول ايضا: إن الحذافير تعني في استعمال المعاصرين الاشياء الصغيرة والدقيقة التي تدخل مع الاجزاء الكبيرة في شيء واحد.

وكنت قد أشرت في «أظافير» الى رأي المولوي الكنتوري الذي

ذهب فيه الى أنّ «حذافير» أصلها «أظافير» بعد إبدال الحاء من الهمزة.
أقول أيضا: وقد يرد «حذاريف» على القلب في كلام الناس وهي ليست من الكلم الفصيح وستأتي مع جمهرة من الكلم العامي الدارج.

12 ـ حـــزاقيـــل

و«الحزاقيل»: خشارة الناس، لا واحد لها

13 ـ خـــراطيـــن

و«الخراطين» كما في لسان العرب (خرطن): ديدان طوال تكون في طين الانهار.
قال الازهري: لا أحسبها عربية محضة، وربما كان أصل الكلمة انهم رأوا ذلك الدود يدب في البقاع الرطبة، ووجدوا من خير مميزاته انه يخرأ الطين، فكأنهم قالوا: دود خرأ الطين، ثم بكثرة الاستعمال صار دود «خراطين» وبعد كونه كلاما واقعا صفة لموصوف حُذف الموصوف وأقيم مقامه الوصف. ولمشابهة وزنه صيغة منتهى الجموع. حسبوه لفظا واحدا جمعا. ولغرابة نشأة الكلمة، ولعدم الحاجة الى ذكر واحد معين من تلك الديدان ان ما وضعوا له مفردا.

أقول: وهذا يدخل في طائفة الجموع التي ارتجلت دون أن يكون لها مفرد.
قال المولوي السيد كرامت حسين الكنتوري في «فقه اللسان»: «خراطيم» مأخوذ من «خراطين» لمشابهة خراطيم الفيلة المتحركة بـ «الخراطين» وحسبوه جمعا لوجود الوزن. ولشدة الضرورة الى استعماله مفردا وهو (خُرطوم) ثم لكون الخرطوم أنفا مقدما للفيل أطلقوه على السيّد الشريف المقدّم على القوم، وعلى الخمر السريعة الاسكار، وأول ما يجري من العنب قبل ان يداس.
أقول: ومنه صاروا الى الفعل «اخرنطم» وما اكتسب من دلالة تومئ الى خرطوم الفيل.

14 ـ خـــلابيـــس

و«خلابيس»: الابل تَرْوَى فتذهب ذهابا شديدا فتُعنّي راعيها، يقال: أكفيكَ الإبل وخلابيسها.
وقالوا: «الخلابيس» بمعنى الكذب، والواحد «خِلبيس»، وقيل: لا واحد لها. أقول: ويتجه الظن الى افتعال «خِلبيس».

15 ـ خنـــاطيـــل

و«الخنـاطيل» صفـة لـ «إبل»، قالوا إبل خناطيل أي متفرقة، وكأنهم ولدوا منه «خنْطُولة» مفردا ولكنها من صنع القياس على النظائر.
أقول: لقد قالوا في أحاديث انها جمع أُحدوثة ولكننا نجد الشائع الكثير أنّها جمع حديث، ومنه «الحديث الشريف» الذي جمع على احاديث. وكأن الاحدوثة على صلتها بالجمع بقيت معزولة في استعمالها الخاص وهي من غير شك صُنِعَت قياسا على نظائرها.
أقـول: لم نقف على خنطولة في أدب الإبل، ولكن الخناطيل معروفة لدلالتها على صفة في الابل هي التفرق.

16 ـ سمـــاديـــر

و«السماذير» هو الشيء الذي يتراءى للانسان من الشراب عند السكر وهو ضعف البصر، ومنه «اسْمَدَرَّ بصره» أي ضعف.
قال أدي شير في «الألفاظ الفارسية المعربة»[26]: انه تعريب «شمادير».
أقول: ولما كانت الكلمة على صيغة الجمع حسبوها جمعا وهي في الأصل مفرد، وقد روعي اللفظ فيها وسنجد شيء من هذا.

---

(26) الالفاظ الفارسية المعربة ط. الجامعة الامريكية ببيروت سنة 1908م.

17 ـ شعـــاريـــر:[27]

انظر «شعاليل»

18 ـ شعـــاليـــل

و«الشعاليل» في قولهم: ذهب القوم «شعاليل» مثل شعارير».
وقالوا: لا واحد لها[28].
أقول: وقد جاء «شُعْلُول» للفرقة من الناس، ولم يشيروا إلى أنه مفرد شعاليل.

19 ـ شمـــاطيـط

و«الشماطيط» في قولهم: جاءت الخيل «شماطيط» و«شماليل» اي متفـرقـة، وقـالوا: لا واحد لها مثل أبابيل وعبابيد. وقيل: شمْطَاط وشمطوط، وهذا من الكلم المصنوع وما أكثره.

20 ـ ضغـــابيـــس

و«الضغابيس» للقثّاء الصغار وقيل: أصول الثمام.
أقـــول: وليس «الضُّغْبوس» مفـردا لها، ذلـك أن هذا ينصرف الى الاغصان التي تشبه«العُرْجون».وقالوا: الضغبوس هو الضعيف.

21 ـ طحـــاريـر طخـــاريـر:

وكأنهما على الإبدال وهما بمعنى لقطع السحاب المتفرقة. وقالوا واحدها طحرورة
أقول: لم أقف على هذا الواحد فيما يتصل بالسحاب والمطر.

---

(27) قالوا فيها ايضا: انها جمع «شعرور» وهذه نبْز لكلمة شاعر.
(28) انظر ابابيل

22 ـ عبـــابيـــد

و«العبابيد» هي الآكام، وهي الاشياء المتفرقة والبعيدة[29] وقالوا لا واحد لها.

23 ـ فـــراديـــس

من الكلم الـذي جاءنـا على صيغـة الجمع «فعاليل» وهو من «المعـرب» الـدخيل، والأصل براديس «من الالفاظ» الفارسية، وقد حسبه العرب جمعا على التوهم، فأعملوا فيه نظرهم فصنعوا المفرد فقالوا «فردوس».

24 ـ قـــلاقـــل

و«القـلاقـل» جمع لما يُتَوَهَّم مفـرده وهو «قَلْقَلة» وليس هو في الاستعمال وقد ورد في البيت المعروف لابي الطيب:

وَقَلِقْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحشَا قَلاَقِلَ هَمٍّ كُلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

والبيت من سقطات الشاعر كما في كتب البلاغة.

25 ـ وجـــاء في التكملة 1/ 81 أن أهـــل اليمن يسمـــون الـطبـل «الجَبَاجِبُ» ولا مفرد له.

---

(29) انظر ابابيل

خـــاتـمـــة

هذا ما بدا لي أن أثبته مما وقفت عليه، وهو أيضا مما يجتزأ به وغيره معـروف في العـربية وسألحق هذا الموجز بما يجري مجراه في لغة عامة العراقيين مما أرتجل من جمع ليس له مفرد[30].

إبراهيم السامرّائي
جامعة صنعاء

---

(30) وسأدرج في هذا الهامش ما هو معروف في عامية اهل العراق مما يرتجل جمعا وليس له مفرد ودونك هذه المجموعة:

1 ـ حتـاريف: للفضـلات الصغـيرة من الخبـز وغـيره وهي تومىء الى «الحروف»، و«حروف» الخبز معروفة.

2 ـ حذاريف: النطق الدارج للحذافير.

3 ـ حرافيش: كلمة للنّبز، يقال «الحرافيش» بمعنى الاشقياء.

4 ـ خباصيص: كلمة تعني الاضطراب والفوضى.

5 ـ خرابيش: للكتابة الرديئة والخط الرديء

6 ـ دعاثير: للاشياء المهملة من متاع البيت ونحوه.

7 ـ دحاريج: للاشياء على هيئة كرات صغيرة

8 ـ شخابيط: للخطوط أو الكلمات غير ذات معنى

9 ـ شناشيل: للغرفة المطلة على الشارع واجهتها أبواب من الخشب، والكلمة فارسية.

10 ـ صلابيخ: للحصى الكبار واحدها صلبوخ

11 ـ طخاميخ: للقطع الغليظة الكبيرة من الخشب أو الحجر أو نحو ذلك.

12 ـ لهاميد: للقطع الكبيرة من اللحم ونحوه.

فأتني ان أذكر «جلافيط» لفضلات اللحم ولعل في هذه المادة كلمات أخرى تُستَدْرَكُ على هذا الموجز.